الفصل الاول

معاوية
تاريخ الارض والقرية
حتى العام ١٩٤٨

معــــاويــة

حــي فحماوي صامد، أو ضاحية فحماوية، أرضاً وسكاناً وآمالا، مدخلها مقابل مدخل أم الفحم، عبر حي عين ابراهيم الفحماوي .

تنقلك السيارة على طول خمسة كيلومترات، ويحلو للبعض قطعها مشياً على الأقدام، وخاصة خلال الأيام الربيعية، حيث ترتدي الهضاب على الجانبين وشاحاً لوزياً أخضر .

هذه الأشجار التي غمر بها الفحماويون أرضهم لحمايتها من المصادرة، من القانون "رحيم القلب" قانون البور القاتل، وتحدياً لنوايا المصادرة الحكومية، التي ترتدي أزياءً شتى، في جوهرها إنما تهدف الى سحب البساط وقلع الجذور الرّاسية عبر أعماق الأرض، وجعل معاوية قفصاً لا يطاق .

ويداعبك النسيم الطري، ليسرق قطرات العرق الطرية عن جبينك، وتسرق نظرك شقائق النعمان، وصابونة الراعي، والصّفير، والنرجس، تتهادى ميّاسة على أنغام النسيم العليل، وأسراب الفراش تحوم في ألعابٍ بهلوانية، وأطيارٌ تصفق بجناحيها ترحيباً بك .

وما أن تقطع شوطاً عبر الطريق الأفعى، وجهاً لوجه وعلى بعد مترين من الشارع، تصفعك لافتة خُطَّ عليها خطر ! ممنوع الدخول ! منطقة عسكرية !

فيذبح سيف الصدمة رقّة أحلامك، وتعصر آلام التمييز ياسمينة آمالك، وكأنّ شيئاً يهمس لك: لا تفرح، لا تحلم، ويناديك ملاك الحب، إفرح، إحلم، فهذه الأرض والأشجار لك ! هذا وطنك ولا وطن سواه، إبتسم رغم أنّ بارودة الطاغي على جبينك .

ويقطع النداءات الوردية المتكررة، سحر الصبّار وزهر اللوز، والزيتون، والتين، فترعى عيونك الثوب الطبيعي المزركش وتطلّ عليك معاوية عروساً ساحرة، يتهادى هودجها ويحمله صابر بن صابر .

ترى بيوتاً جميلة تعتليها أنتينات التلفاز، فيتدفق الشوق فيك ليفجّر خيوط المحبّة لهذه القرية الباسلة . لهذا الإبن الذي وصل شفا القبر، ليقف من جديد، لن أموت، أنا باقٍ، أنا هنا، لن أركع .

وطلقات رشاشات، لها لحن موسيقى لا تطيقه وطلقات مدفع تطلق النار على أحلامك .

فتعود من جديد لتفتح ملف الأرض، والمناورات، والقتلى، والجرحى . الغول الفاتح شدقيه كل ثانية .

فتعود لتحضن العروس، وتقبّل صابر بن صابر، الذي يدفع ثمناً باهظاً ينزف دماً وهو صامد، ليحفظ الأرض والبقاء والهوية والتراث والجذور .

العصرنة تخترق كل بيت، ولكن التراث ما زال برواز‌اً ذهبياً يزين جيد العروس.
هنا ثغاء الماعز، وشلية تسير أمام الراعي عائدة الى بيتها في حُبور. وهناك خوار البقر، وعواء الكلاب، ومواء القطط، وصهيل الخيل، ونقيق الضفادع من عين الغدران وعيون القبالى. وهنا أسراب الدجاج تنبش الأرض.

ورائحة خبز الطابون تعبق بالأنف، تفتق الشهية إلى خبز زمان وأيام زمان. وقد تتناول رغيف خبزٍ محمرٍ مقحمشٍ لتنهش من بلسمه وتتطيب برائحته، ليعتب عليك بعيون المودة "هو خبز اليوم خبز، كماج افرنجي" ؟!!

فما زلت تدخل البيوت، حتى تجد اللبنة واللبن والحليب والجبن وربما السمن والمخيض، تجد البيض بصفاره البلدي، والدجاج ولحم الضأن تبع أيام زمان.

أهلاً وسهلاً وفنجان القهوة السادة يلاطم شفتيك وما أكثرها أهلاً وسهلاً. وحتى أهلاً وسهلاً مع القهوة حين الوداع.

انها بقايا من تاريخ عريق، تاريخ يتناساه أهل المدن ولكن معاوية تقول:
سأبقى مع قنبازي وكوفيتي، وخيري وأرضي، مخطىء من ظنّ يوماً، أنني أيأس، أو أهرب، فأنا وأرضي توأم سيان لا ينفصل أبداً ...

منطقة اطلاق النار - على بعد مترين من الشارع ؟

معاوية - اليوم

معـاوية عبر التـاريخ

أم الفحم وقراها، منطقة مأهولة عبر آلاف السنين، والروحة بالذات هي موقع اقتصادي واستراتيجي هام، فقط حطّ فيها تحتمس الثاني الفرعون المصري الذي قام باحتلال فلسطين عام (١٤٧٩ ق.م) وفي مصمص وأراضي الروحة وبضمنها معاوية . ويعتقد أنّ الاسم مصمص نسبة الى تحتمس هذا .

وبكونها تقع بمحاذاة الطريق التجاري العسكري، فهي محطّ الجيوش الغازية للبلاد، وملاذ عسكري، وحصن عسكري متتابع . والآثار المتواجدة في الروحة وأطرافها انما تشهد آثاراً قديمة يدعوها السكان "الخرب الكفرية" واستوطنها الكنعانيون والفنيقيون . وأشهر الآثار او الخرب الكفرية هي من العهد البيزنطي على الأغلب حيث كان مكان معاوية مقرات عسكرية وربما قرى بيزنطية، وأينما تجول في القرية او نواحيها او كهوفها انما تجد الآثار الشاهدة على ذلك . ولكن المكان لم يكن يدعى معاوية . وانما كانت تتبع لمجيدو "اللجون" البعيدة عنها بضع كيلومترات ومن الخرب الكفرية في معاوية ونواحيها خربة خنزيرة ودعيت لاحقاً خربة ابو خليفة نسبة لأصحابها من أم الفحم وخربة حمد البيزنطية وظهرة الرسم .

مقـام الشيخ معـاوية

معـــاوية الاسـم

سميت معاوية بهذا الاسم نسبة الى المقام الديني المتواجد في وسط القرية، حيث يحمل هذا المقام اسم معاوية، ومعاوية هذا شخصية مجهولة، ومن الصعب تحديد هويتها ومكانتها .

وإرجاع الاسم ونسبه الى معاوية بن ابي سفيان، الخليفة الأموي الأول الذي كانت فلسطين ضمن سلطانه، فمن غير المعقول أن يكون قد دفن في هذا المقام، وإن كان المقام قد سمي باسمه لمناسبة ما، فلا دليل تاريخي او أثري يؤكد ذلك، او يجعل الأمر مدعاةً للتكهن .

بالنسبة للبناء فالنظرة الدائرة قديماً بأنه ولي من أولياء الصالحين ومثله يتواجد في فلسطين ٢٧٠ مقاماً . والشيء المشترك بينها جميعاً تواجدها على الأغلب في أماكن مرتفعة على رؤوس الجبال او سفوحها .

والبناء، (رباعي الشكل، له باب واطيء، نافذة واحدة على الأغلب، وقد يكون له أكثر من نافذة، وفي أكثر الحالات يكون ذا قُبّةٍ، وأما من الداخل فهناك طاقة أو أكثر، غير نافذة تشبه الخزانة الطويلة، وهناك في العادة محراب بجانب القبر) (١) .

وهذا الأمر واضح في مقامات وادي عارة ومعاوية واسكندر والمقامات الموجودة في فلسطين قسم منها يحمل أسماء أنبياء اعترف بهم الاسلام وآخرون أطلق عليهم صفة النبوة، دون أن يكونوا كذلك، أمثال النبي صموئيل (قرية صموئيل المهدمة)، والنبي طوبا (طوباس)، والنبي اسكندر (أم الفحم) وغيرهم ممن لا تعرف حقيقتهم في أغلب الأحيان .

وقسم يحمل أسماء شخصيات إسلامية فهناك عشرة مقامات تحمل أسماء أقرباء الرسول، منهم اثنتان من النساء، أمثال :

الحسين بن علي (عسقلان)، الفضل بن العباس ابن عم الرسول (الرملة)، عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ابن عم الرسول (قرية سلمه) .

هل حقاً أنّ هذه المقامات تحوي رفاتهم الطاهر، فنحن نعلم والحقائق تؤكد أنّ أحداً منهم لم يدفن في فلسطين .

فهذا يوضح أنه ليس شرطاً أن تكون جثة مدفونة داخل المقام، وإن تواجد ضريح شكلي . وباعتقادي أنّ الأمر لا يعدو التقدير والتقديس والتعبير الديني اتجاه هذه الشخصيات . وخير مثال النبي صالح له مقامان في عكا والرملة، والنبي يونس له أيضاً مقامان في حلحول وكفر كنا ...

وقسم يحمل أسماء الأولياء الصالحين، وأكثر المقامات هي كذلك من :

١) **أقطاب الصوفية**

٢) **المجاهدون !**

٣) **العباد والزهاد**

٤) **الخلفاء (مؤسسو الزوايا)**

٥) **النساك**

هذا وتعلّق عامة الشعب بالأولياء، وأحلّوهم منزلةً سامية من الإحترام، فقدموا لهم النذور، وآخرون ما زالوا يقدمونها الى اليوم، وأقسموا عند قبورهم الإيمان، وتلوا الدعوات وأقاموا الصلوات والمراسيم والاحتفالات .

وللأولياء سلطان قوي على الناس وقوة روحية كبيرة في الأزمنة الماضية . وحدّثني الكثيرون من الشيوخ عن خوارق معاوية واستجابته لدعاء ومطالب الناس، وعن قصص كثيرة ترتبط ارتباطاً لا جدال فيه بقدرة "سيدي معاوية"، وأنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وفي أم الفحم يحدّث الشيوخ عن خوارق النبي او الشيخ اسكندر، بأنه قتل ثلاثة من الانكليز انتهكوا حرمته . وأنه عاقب فلاناً، أو أجزل السعادة على آخر، ولكن القصص المروية في معظمها هي قبل قيام اسرائيل وجميعها على لسان فلان وعلاّن ...

وبناءً على المعتقدات القديمة، كانت وما زالت المقامات تحظى برعاية مستمرة من تجميل وإصلاح وتقديم الهدايا، ووضع الحنّاء وتقديم القرابين وإلخ ...

ومن المثبت تاريخياً وفي كافة المصادر أنّ صلاح الدين الايوبي قد أقام بضع عشرات من الزوايا، للمتصوفين والزهاد والناسكين، وأنّه دُفن في هذه المقامات مجاهدون إسلاميون ممن سقطوا دفاعاً عن الوطن والدين في الحروب ضد الصليبيين .

وجاء في الموسوعة الفلسطينية ص ٢٥٧ :

"ومما تجدر الإشارة اليه أنّ كثيراً من مقامات الأولياء التي يقدسها القرويون، بصورة خاصة، إنّما تضمّ في الحقيقة شهداء الحروب ولا سيما الصليبية" (٢) .

وكذلك فبناية المقام (معاوية) رُممت مرات ومرات، وآخرها رممها أهالي أم الفحم في أوائل القرن العشرين .

ولكن ومما يلفت النظر، أنّ المقامات هذه، او البنايات هذه تتواجد في أماكن مشرفة ويمكن رؤية البناء من البناء الآخر، وإنّ المسافات على الأغلب متقاربة بينها اذا ما نظرنا اسكندر معاوية عرعرة كفر قرع .

وهذا يؤكد أنها لم تبن بشكل عشوائي، وإنما لأهداف عدّة تخدم الدولة، وفي الوقت نفسه تشكل نصباً تذكارياً لمجاهد إسلامي، وتعبيراً عن التقدير له .

والبنايات هذه كانت بمثابة "مناظر" لحراسة قوافل الحجاج التي طالما تعرضت للسلب والنهب من قبل الأعراب ولتقدم للحجاج الماء والطعام، بكونها جميعها متواجدة بجانب عيون ماءٍ، ومقام معاوية يحدّه عين ووادي الغدران وعين وادي عيون القبالى ويشترط فيه على الأغلب وجود مدينة او قرية بمحاذاته من أجل الأمن والخدمات . وأم الفحم كانت قرية معروفة إبان عهد الأيوبيين والمماليك .

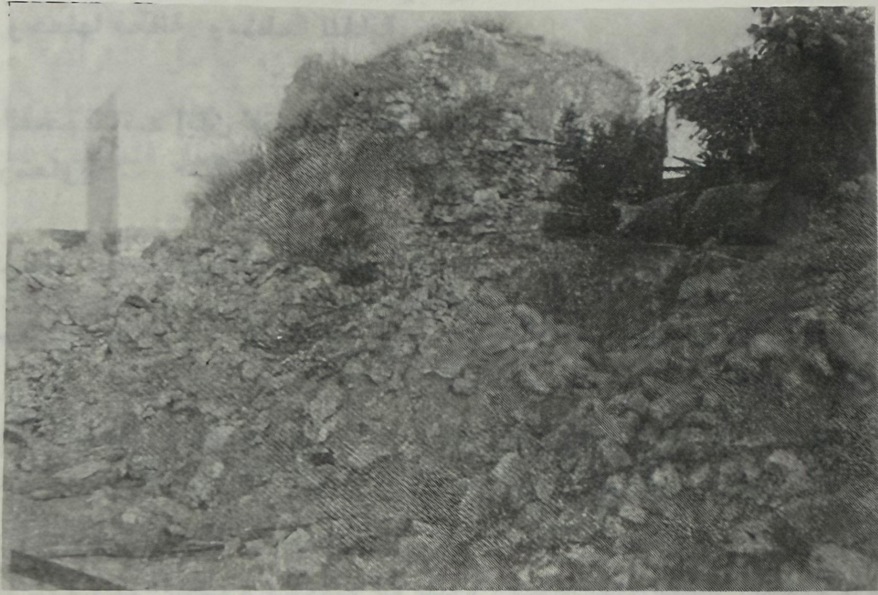

آثار القصر الحارثي

المدرسة على أنقاض السجن والاصطبل

مراكز البريـد

استعملت هذه البنايات او قسم منها كمراكز بريد (وفي كل مركز عدد من الخيول المعدّة للركوب تُعرف بخيل البريد، فاذا وصل البريدي الى مركز منها، وقد تعب فرسه، ركب غيره وكذلك يفعل في الأماكن التالية حتى يصل بسرعة، وفي أكثر المراكز أقيمت الخانات لمبيت البريديين) (٣) .

ولقد طوّر الأيوبيون العمل البريدي، في حين جاء الملك الظاهر بيبرس المملوكي، فطوّرها، وجعلها فعّالة، ومنظمة للغاية .

وأم الفحم كانت إبان عصري الأيوبيين والمماليك مركز بريد رئيسي نظراً لموقع اسكندر ومعاوية .

وذكر الدباغ - فلسطينيات ص ٥٠ :

"أنّ خط البريد غزة - دمشق في عصر الملك الظاهر بيبرس (١٢٦٠م - ١٢٧٧م) كان يمر ببيت حانون، بيت داراس، قطرة، اللد، رأس العين، الطيرة، قاقون، فحمة (أم الفحم)، جنين، زرعين، عين جالوت، بيسان، المجامع، الكسوه ودمشق) (٤) .

وتنظيم البريد هذا جعل الرسالة تصل في نفس اليوم الى عنوانها او بعد بضعة أيام على الأغلب .

وكان لا بدّ من أماكن أمينة لتأوي رجالات البريد، ولتأوي الخيول، وملاذاً ليلياً ولذلك أقيمت الخانات الكبيرة والصغيرة . وأقيم مثل ذلك في معاوية وهي بمحاذاة المقام معاوية . ومن المؤسف حقاً أنّ القرية لم تحافظ عليه جهلاً بأهميتها التاريخية . وفيه اسطبل للخيول وبناءٌ وسجن، وأصبح حجارة منثورة .

وأقام المماليك هذه البنايات، بسبب قربها من أم الفحم نقطة البريد الرئيسية . وإنّ شكل البناء والتخطيط هو على الطريقة المملوكية، وليس تابعاً للقصر الذي باشر ببنائه الأمير أحمد طرباي الحارثي المحاذي للاسطبل والسجن والبناء إبان عصر العثمانيين في نهاية القرن الخامس عشر .

ويعود على الأغلب تاريخ الاسطبل والبناء والسجن الى السنوات (١٢٦٠ - ١٢٧٧) الى عهد الظاهر بيبرس الذي أقامها ونظّم البريد .

المنـاور - المنائر

استعملت المقامات او ما يحاذيها كمناور، وبعضها دعي كذلك وبعض المناور كان مستقلاً.

(والمناور تشحن بالحراس والمرابطين الذين يرصدون ما حولهم، فان كشفوا، عدُوّاً أشعلوا النار ليلاً، او أثاروا الدخان نهاراً، ضماً للأطراف وإنذاراً باقتراب العدو، فتنقل الإشارات عبر المناور لتصل الى الجهة المقصودة.

ونظّم المماليك استخدام المناور، فكانت تلك المناور، ترسل إشاراتها من البيرة والرّحبة فاذا ما وصلت الإشارة الى جبال إربد، انتقلت عبر منائر فلسطين في بيسان، جنين، أم الفحم، شرفة قاقون، أطراف أعمال نابلس، والجبل المصاقب لمجدل يابا، وحدب غزة، وهي آخر المناور.

وبلغت فعالية هذا النظام في عهد المماليك أنّ الخبر اذا أرسل من الفُرات صباحاً وصل الى القاهرة عشاءً. واذا أرسل عشاءً وصل صباحاً) (٥).

وكانت المناور تقام على رؤوس الجبال أو على أبنية عالية وكان لاختلاف أحجام النّار والدّخان وأعدادها ومراتها مدلولات تعرّف بالعدو وحجمه وبعده. فاذا وصلت رؤية النّار او الدخان الى الجبل المنحدر من بيسان جهة الشرق يرى في نابلس ثم بقرية جنين، وبجبل فحمة (أم الفحم) وبشرفة قاقون، ومجدل يابا ويازور وغزة) (٦).

وهكذا فكان جبل اسكندر أيضاً منارة هامة وربما استعمل مقام معاوية لاشارات مماثلة للحرب او السلم او الابلاغ بريدياً لمقام (عرعرة) او مقام (كفر قرع).

وهكذا نرى أهمية عظيمة لهذه الأبنية، ويخطىء من يظنّ أنّ أغلبها قد تم رسمه وتنفيذه عشوائياً، فعلى الأغلب تراعى المسافات، ويراعى وجود قرية أو مدينة، ويراعى وجود مياه، ويراعى في الاساس الموقع الاستراتيجي.

ولمقام معاوية موقع استراتيجي هام بكونه في عمق الروحة مشرفاً على جبال الكرمل وأم الفحم، وعلى الغرب ساحلاً وجبالاً.

وهكذا كان مقام معاوية على الأغلب نصباً تذكارياً لمجاهد إسلامي منذ الأيوبيين (١١٧١ - ١٢٥٠).

ونقطة حراسة تسمى زاوية او رباطاً "الزاوية او الرباط كلمتان عربيتان، فأصل الرباط المكان الذي تقيم فيه الحامية المرابطة عند حدود العدو) (٧). ووظيفتها حماية الحدود وقوافل الحجاج وتأمين الأمن والطعام والشراب والاستراحة.

وقتها بقوا قاعدين بشتغلوا في القصر .
قالت: انزلوا يا بنايي، لا تكملوا الشغل ....
خلص بكفّي "الظلم عمرو ما بدوم" .
وفعلاً بعدها انقتل وبقولوا ان قبرو في جنين" .

"احتل سليم الأول فلسطين سنة ١٥١٦ وأبقى في السلطة جميع من وقف بجانبه من أبناء فلسطين من القبائل والعائلات وأرباب النفوذ" (١٠) .

وجاء في تاريخ الدولة الإسلامية ص ٢٠ :

"ومما يساعد الوالي على تحقيق الأمن في ولايته وجمع الأموال من الزعماء المحليين الذين يقعون في ولايته، فقد أبقت الدولة بعد استيلائها على فلسطين، زعماء البلاد في الحكم في مطلع الحكم العثماني، أي في أيدي العصبيات المحلية" (١١) .
وفي هذه الفترة إستلم "آل طرباوي الحارثي" إمارة منطقة صفد واللجون" (١٢) .

وجاء في فلسطينيات ص ٨٨ :

"ومن أعقاب الحارثيين في فلسطين أعقابهم في قضاء جنين ظهر منهم "ابن طرباوي" الذي أيّد السلطان سليم فاتح الشام .
وأحمد بن طرباي بن علي الحارثي، أمير اللجون ٩٧٩ _ ١٠٥٧ هـ : (١٥٧١ - ١٦٤٧)
وما زال الحارثيون حكام جنين وما والاها من البلاد، الى أن خرجت الحكومة منهم عام ١٠٨٨ هـ .
ولما زار الشيخ عبد الغني النابلسي جنين عام ١١٠١ هـ قال: واجتمعنا بمن بقي من أمرائهم هناك وقد صاروا مغارباً للامارة بعد أن كانوا مشارقاً .
والى قبيلة الحارثية تنتسب عشيرة وادي الحوارث في قضاء طولكرم، والحمام، والغنامة من اعمال صفد، وشيوخ وقرية المزيرعة، كما نسبت اليها خربتا الحارثية من أعمال الرملة، وقرية الحارثية، المندثرة من أعمال حيفا، وسيلة الحارثية من أعمال جنين" (١٣) .

وهكذا يعود حكم الحارثيين الى مطلع احتلال فلسطين من قبل الأتراك وحكموا مركز وشمال البلاد . وكان لهم نفوذ كبير . وسيطروا على البلاد بامرة الأتراك وحسب الحكم العثماني كان بيدهم السلطة القضائية وفرض الضرائب وجمعها وتسليمها ويعود الحادث المروي الى قرابة ٢٤٠ عاماً وقبيل انهيار الإمارة الحارثية عام ١٦٧٥ .
وبعد هذه البرهة بدأ الفحماويون باستغلال الأرض وتعميرها وزراعتها والعودة الى أم الفحم .

ومعاوية كانت على اغلب الظن نقطة هامة كخان لايواء رجالات البريد وإيواء الخيول، وسجن الأسرى وغيرهم زمن الملك الظاهر بيبرس وما بعده (١٢٦٠ - ١٢٧٧).

ومما تجدر الاشارة اليه أن كثيراً من مقامات الأولياء، التي يقدسها القريون، بصورة خاصة، إنما تضمّ في الحقيقة شهداء الحروب ولا سيما الصليبية) (٨).

وفي عهد المماليك كانت معاوية تتبع للمملكة الغزّية. ويأتي ذلك من سنة "١٢٥٠ - ١٣٨٢".

(ففي عهد المماليك كانت أم الفحم تتبع للمملكة الغزّية، والمملكة الغزّية ساحلها يبدأ من بيت ساما، والملاحة - من أعمال حيفا - في الشمال وينتهي في رفح على الحدود ومع مصر على الجنوب.

وأما ضلعه الشرقي فيبتدأ من شمال أم الفحم الى جنوب السكرية والحسي ماراً ب (طبرس) من أعمال جنين وحزبتا وبير معين من أعمال الرملة) (٩).

وهذا يؤكد تواجد أم الفحم القرية المعروفة منذ عام ١٢٥٠، وأنها كانت متواجدة قبلها، لأنها دخلت ضمن خارطة تحديد حدود المملكة الغزّية في ذلك العام ويؤكد هذا المصدر تواجد أرض معاوية ضمن المملكة الغزّية الملوكية آنذاك.

العهد التركي:

ويحكي السيد أحمد عبد الرؤوف حاج طه محاميد (٦٣ عاماً):

"أرض معاوية ما كانت زمان مهجورة، هون فيها آثار الأمير الحارثي من زمن الأتراك، كانت اقطاعيات وهاي اقطاعية الحارثي، من قيسارية لحد جنين وعَ اسمو أجا "سيلة الحارثية" واد الحوارث وغيرو للحارثي بقى هون أمارة، وسجن واصطبل خيول. في الجهة الغربية بجنب المدرسةبس قبل أكم سنة هدو الآثار ميشان بناية المدرسة.

وفي رواية مشهورة عن حكم الحارثي برددوها كل الختيارية:

إنّو في بدوي فقير راح قطع بطيخة من رمال قيسارية من اقطاعية الحارثي، قاموا زبطوه بالصدفة وزعل الحارثي وأمر الحرّاس انهم يربطوه بلبش البطيخ، ويروّح عَ معاوية عند بنتو ميشان إتحلّو بنفسها.

وفعلاً من الخوف والظلم أجا عَ معاوية، ولبش البطيخ ولد إزغير بقطعو، بس الخوف ...

طلعت بنت الحارثي واستغربت وسألت الراعي:

إشو مصيبتك، قام خرّفها ...

قالتلو: بس معرفتش تقطع لبش البطيخ وتشرد ؟!

قالها يا بنتي: وإن شردت وين بدي أروح من حكم أبوك ؟!

ويحكي السيد يوسف حسن محمد اغبارية (٨٥ عاماً):

"في أولها بقينا نتنقل مع الطرش، في بيوت شعر يعني عزبة في أراضي الروحة، نسرح فيه بعد اشوي اشوي بدا قسم من الناس إعمروا بيوت طين وصاروا يستقروا لأنو صار صعب يرجعوا عَ أم الفحم.

أول ناس من الفحامنة سكنوا في معاوية في أواخر القرن الثامن عشر ومنهم يوسف عبد الله، حسن محمد ابو علوه اغبارية، عبد الرحمن مصطفى الحاج وطه محاميد، عبد الكريم وعبد الغني ابو علوه اغبارية، عبد الفتاح قاسم محاميد، محمد يوسف محمد دبوس محاميد.

وهكذا بدأ الفحماويون باقامة حي جديد لهم، وكما قال المثل: "هنيال البيت اللي بطلع منو بيت جديد".

وهكذا بدأت البذرة من عدة أشخاص في عهد الأتراك، الذين خيّم استعمارهم على فلسطين طوال ٤٠٠ عام ونيف. حرقوا خلالها الأخضر واليابس، قطعوا شجرة التطور العربي، وساقوا الشباب الى أوروبا وافريقيا ليحاربوا من أجل البيت العالي، هذا البيت الذي يحمل اسماً على غير مسماه، وإنما قام على أنقاض تخريبهِ لحضارة العرب والمسلمين".

ويتابع الحاج يوسف حسن اغبارية:

"تركيا بقت إتلم الشباب والشبيبة كل واحد عمرو ١٥ سنة وفوق، وتوخذهم عَ العسكرية. أما لولاد الزغار بقوا يوخذوهم ميشان يعزلوا ويقيموا الحجارة من الطرق اللي بقوا التراك يشتغلوا فيها.

والله كانوا يوخذوا الولاد والحمير ويشغلوهم. يعني أنا مثلاً أجوا يوخذوني أشتغل في الطريق، حياة أبوي قلهم الولد زغير، قالوا طيب ... هات الحمارة بدالو وأخذوها والله ...

اللي أهلو بدهمّش إودوا ابنهم عَ العسكرية، بدفعوا عشر عجول عن الشاب، يعني فدية عنو. الناس المقتدرين صاروا يدفعوا عجول.

والله يا سيدنا العزيز، انا وقتها بقى عمري أكثر من عشر سنين، مثل هالشب الزغير اللي قاعد، أبوي حسن محمد اغبارية، وأسعد صبّاح اغبارية، ومحمود عسلية جبارين وسكران السلامة من المحاميد وغيرهم راحوا عَ جنين عَ النقطة التركية ميشان اسلموا وصولة الدفع عن كل واحد منهم ١٠ عجول يوخذوا معافاة، قاموا التراك أمانوهم واعتقلوهم حتى إنّو الزابط التركي ضرب خالي مطر ببوز البرودة عَ خصرتو. بعدين حملوهم بالببّور (القطار) وشحنوهم عَ اسطنبول وقالولهم انتوا عرصات جواسيس ما بدكم تحاربوا مع تركيا وفي اسطنبول دبّروا خطة بعدين

وشردوا من الحبس .

بس يا عمي بقى خوف لأنو التراك لو لاقوا أي شب كانوا يقتلوه . بتهموه إنو شارد من العسكرية، والله صاروا يفوتوا عَ القرى ميشان يشحدوا خبز يوكلوا، الناس ما تقبل تعطيهم .

ليش ... لانهم بخافوا من التراك لانهم مجرمين، بعدين الناس بقى ميكلها القمل، لانو التراك بقوا ظالمين، ذبحوا الناس، نعلوا أمهم عَ ابوهم .

بعدين قبل الحرب العالمية كان إلهم نقطة عند الببور في عين ابراهيم وبدار حسين العيق اغبارية بس يعني مخازن أكل بعدين فلّوا ودشروها .

ويحكي الحاج يوسف محمد عبد الفتاح محاميد (ابو الكامل) ١٩٠١ :

"دار أبوي من أول الناس اللي أجو وقعدوا هون في معاوية . بقينا شبيبة زغيرة، التراك أخذوني مع اجيالي - أزغر اشوي وأوعى شوي مني - نشتغل في الطرق حتى عند "الجلمة" قبل حيفا بقينا نرصف بالطرق، ويحطوا كركار وزفتة، من أم الفحم لحيفا أنا صاحي بقاش زفتة . بقوا الناس إروحوا عَ الحمير وعَ الخيل، مثلاً حياة إمنا أخذناها عَ الحمارة من أم الفحم للناصرة . بس صاحي بقى شارع زفتة من حيفا للناصرة . أنا شوفت مدافع تركية بقت إتجرها البقر، والجاموس والخيل .

معاملة التراك إلنا بقت عاطلة، معملوش مدارس، بس الاقطاعية يمكن قدروا يعلموا ولد في أماكن بعيدة .

اللي بدو يتعلم بقى يتعلم في الكتّاب، وندفع للشيخ خبز وقهوة وغيرها . والأغنياء في منهم بقوا يجيبوا معلم خصوصي، هذا الحكي في أم الفحم والمدن .

كان تمييز مثل اليوم بعهد اسرائيل، التركي مفضّل علينا، التراك يا سيدي بقوا يوخذوا ضريبة من الحبوب إلهم "العشر" من الحبوب . بقى هناك مقاول يضمن البلد ويفرز الحصة للحكومة من البيدر . والله أنا صاحي عرم الحبوب بقت قد هالدار . وهيك خرّبوا الفلاحة عَ الفلاحين وأكلوا خيرهم .

وفي الحروبات تبعتهم قتلونا أخذوا الشباب والرجال عَ الجيش، ومظلش حدا يزرع ويفلح مليح . إلا النسوان والعجز والأولاد الزغار . وبفترتها فاع الجراد، وصاروا الناس من القلّة يوكلوا جراد . آه والله .. بعدين صاروا يبلّوا الترمس بالميّة وينشفوه ويعملوا منّو قراص للأكل . بعدين صاروا يطحنوه ويعملوا منّو قراص يعنى اسمها "الكراديش" بعد ما يحمصوه بالصاج .

وزادت المجاعة بزمن الحرب العالمية . لما حل الانكليز، بقى عمري ١٥ سنة والله أعلم . والانكليز اعطى الحسين بن علي دول عِنا . عبد الله أخذ الاردن وفيصل العراق . هي مش بلادهم، هظول أولاد الانكليز وحكّموهم عَ بلاد العرب، وإحنا حكمونا الانكليز . اما قد ما يكون الانكليز حتى أهون من التراك . الثنين ظالمين بس التراك أزيد" .

ويحكي الحاج حسن محمد احمد أبو مراد (قبطي) - ١٩٠٢ :

"كان حياة أبوي عسكري مع الأتراك، وقتها كان عمري عشر سنين بقيت أروح عندو هناك في يافا، وقتها كان المسؤول هناك اليوزباشي حسن بيك، اسطبنولي تركي، وهو اللي جامع حسن بيك عَ اسمو في يافا. وكانت النقطة اللي مع الأتراك جنب برج الساعة في يافا.

أبوي بقى يخدم في الجيش التركي بدون أجرة. وكان عسكري عادي، وهيك كل مجند فلسطيني كان عليه يحارب بدون أجرة.

أصعب فترة علينا كانت "السفر بلك" وهي سنوات الحرب العالمية (١٩١٤ - ١٩١٨) كل الرجال من ٢٠ - ٦٠ سنة أخذوهم عَ العسكرية وسموها السفر بلك أي السفر العمومي، بسبب سفر الرجال.

النسوان كانت تنكش وتحرث، وتحلب، وبتجيب الحليب والميّة وهنّ المسؤولات عن البيوت.

الأكل كان صعب، ملابس صعب جداً، انتشرت "الكراديش" والجراد أكل الدنيا. طلعوا النسوان والولاد والبنات وصاروا يجمعوا بيض الجراد ونحرقوا.

وواحد تركي اسمو مصطفى افندي، أجا كش كل الزلام من الزغيز للكبير، وأخذهم عَ الجيش، والله حوالي ٣٠٠ - ٤٠٠ واحد.

١٩١٨ بصحى الانكليز احتلوا اللجون والانكليز اسروا العرب والتراك اللي لابسين لباس جيش، ودشروا الفلاحين".

* وهكذا فتاريخ معاوية الحديث يعود الى قرابة ٨٠٠ عاماً وهو التاريخ المقدّر لاقامة مقام معاوية، حيث أنّ صلاح الدين توفي عام ١١٩٣م. وهو المباشر ببناء هذه المقامات.

ثم جاء المماليك قبل ٧٠٠ عاماً تقريباً، وأقاموا فيها خاناً واسطبلاً.

وقبل ٣٤٠ عاماً تقريباً كان الأمير أحمد بن طرباي الحارثي أمير اللجون يعمر فيها قصراً، ما زالت آثاره قائمة.

وقد أصبحت معاوية مركزاً لقوات ابراهيم باشا الغازي المصري لأرض فلسطين، وكانت نقطة استراتيجية هامّة، وتنتشر قطع النقود بين أيدي الأولاد والبيوت التي يستخرجها الأولاد من المغائر والآثار.

بدأ الاستيطان الفحماوي لمعاوية في عهد الأتراك قرابة سنة ١٨٨٠م، وقبل ذلك كان الفلاحون يزرعون الأرض حبوباً واشجاراً ويعزّبون مع أبقارهم وأغنامهم ربيعاً، ويعودون مساءً الى قريتهم أم الفحم، وقليلاً قليلاً بدء الاستيطان والسكن الثابت يأخذ شكلاً سكنياً ثابتاً وبدأت القرية معاوية باسمها حاملة اسم المقام القائم في أراضي أم الفحم.

الاستعمـــار الانكليـزي

معاوية آنذاك كانت حياً فحماوياً بمعنى الكلمة، وأهلها كانوا يقدمون كل العون للثوار . فالثائر في أرض المعركة والمرأة في البيت تطبخ وتخبز وتحضّر الطعام للثوار . والأهالي يحمونهم بكل الوسائل. يشدون أزرهم بكل السّبل، فالثوار كانوا الرجل المقدّس في قلب كل فلسطيني .

والانكليز استعمار خلف الاستعمار العثماني القاتل، وأخلف كل وعود الاستقلال للأرض العربية . وإنّما وزّع قسماً من الأرض على أبناء الحسين بن علي، مناصب بلا سلطة حقيقية، وبلا استقلال، جلبهم من السعودية ليفرض سلطة على قسم من الشام وعلى العراق .

ومع الاستعمار الانكليزي أخذ الحسّ والوعي الوطني الفلسطيني يتفجّر مطالباً بالاستقلال، وخوفاً على الأرض من وعد بلفور فالأتراك حكموا الأرض باسم الإسلام . والانكليز خطّطوا لتسليم الأرض للحركة الصهيونية حسب وعد بلفور سنة ١٩١٧ . ففي العشرينات أخذ الفحماويون بناء مدرسة في أم الفحم .

وأخذوا يطورون الزراعة، حتى وصلوا في الأربعينات الى صناعة (البلّق) وهو محراث على عجلين يجرّه بقرة او حصان، بل أخذوا يمدون قنوات للشرب . وقبل قيام اسرائيل استعملوا التراكتور في الحراثة .

* إنما وضعت هذه الحادثة ليس إساءة للثوار، بل لأن الثورة اذا خرجت عن مسارها الصحيح ضد العدو الحقيقي فانما تأكل بعضها، وكل ثورة لا يكون عمادها الشعب لا شك ستنهار عاجلاً أم آجلاً . فثورة ١٩٣٦ عندما كانت مدعومة من الأهل كانت تحقق النجاح تلو أخيه، بل أضراب شامل لستة شهور شلّ الحياة في فلسطين . وحين تغيّر السلوك وأخذ القتل للفلسطينيين تحت شعار جاسوس، وهو مبطن بخلافات عائلية ودجل وزور في أغلب الأحيان، ابتعد الشعب الظهر الاساسي وقلّ دعمه.

ويذكر الحاج حسن قبطي :

"في ثورة ١٩٣٦ استشهد كثير من الفلسطينية من أم الفحم في اللجون، وأذكر منهم :

١ـ محمود احمد عبد الله كيوان محاميد: استشهد في اللجون، وقتها الانكليز طوّقوا اللجون، بقى قاعد يتوضأ، شاف الانكليز نزل عَ الواد شافوه وطخوه .

٢ـ عارف علي حسين طميش محاجنة: برضوا قتلوه الانكليز سنة ١٩٣٦ بنفس اليوم مع المرحوم محمود احمد .

٣ـ حسن عبد الخالق محاميد: بقى ثائر ضد الانكليز، وكان معو برودة . استشهد في معركة "عين راس" في اللجون . هي بين اللجون والكفرين وتابعة لأم الفحم وهوكان مع فصيل علي الفارس .

٤ـ مصطفى حلوق محاجنة: ايضاً الثاني بقى مع الثوار واستشهد في اللجون في ١٩٤٨/٤/١٥.

ويحكي الحاج يوسف محمد عبد الفتاح :

"كان القائد الأعلى للثوار "أبو درّة" وأبو درّة طلّع قرار ممنوع الناس يلبسوا طرابيش، ميشان الثوار يختفوا بين الناس، والناس إصيروا زي بعضهم البعض ويصعب عَ الانكليز تمييز الثوار من الناس" .

ويقول السيد توفيق محمد خضر محاميد (١٩١٩) :

"الثورة بالأول بقت منظمة والناس يتساعدوا يجمعوا الهم أكل من الدور ويطعموا الخيل. مرّة من المرات بقيت نايم عَ البيادر قاموا أجو الثوار من جهة كفر قرع مرق أبو درّة ومعاه سليم الصعيبي، بجوز إنو من اجزم . وهذا كان مستشار لأبو درّة، ومعاهم قاضي للقيادة وراح عند دار المختار، وكان هناك ناس من أم الفحم شاردين من ظلم الانكليز .

أهل البلد بقوا يشاركوا، قسم يخرج مع الثوار، وقسم يحرس وقسم يطعمهم والنسوان بالكاد تقدر تنظّف البيت وتنفض الفراش" .

ويحكي السيد أحمد موسى غزيل (ابو عمر) ١٩١٦ :

"أنا من مواليد قرية البطيمات الفحماوية في الروحة، كان المختار عنّا حياة أحمد ابو حشيش، إحنا جينا عَ فلسطين في زمن الأتراك، وأصلنا القديم بين العراق والأردن .

إحنا من أصل بدوي من حامولة "الوشاحية" وتفرعت لعائلات صغيرة إحنا دار "الغزيل" وفي ايضاً البويرات . وصرنا فحامنة العيلتين .

بذكر في ثورة ١٩٣٦ أجو الثوار عَ بلدنا البطيمات بقيادة أحمد الفارس . والبطيمات موقعها متطمّل . كنّا قاعدين في بيت شعر عَ جبل محاذي للقرية، مشرف أكثر عَ منطقة الروحة .

حياة أبوي شاف الانكليز من بعيد تقريباً بحد "خبيزة"، اللي اليوم محلها كيبوتس "جلعيد" بقى عَ الصواري، والانكليز بقوا عَ الأغلب الواحد راكب عَ حصان ويجر معاه أخرى حصان .

حياة أبوي ودّانا أنا وأختي اللي أكبر مني بخمس - ست سنين، عَ دار عمي داهود مصطفى محاميد بقى المختار قبل أحمد ابو حشيش ميشان ابلّغ الثوار يحتاطوا .

وفعلاً الثوار طلعوا عَ جهة الشرق الشمالي، عَ "ظهرة القبور" وبعدين التجأوا لواد "عين البلاطة" .

وصار طخ قوي بين الانكليز والثوار، وهاظ واد عين البلاطة بقى ملان علّيق، وهناك اختفوا الثوار" .

وتحكي الحاجة ثريا علي محاميد ١٩٠٩ :

"الانكليز مجرمين، ذبحونا، وهُمي واليهود بقوا متفقين علينا . وكل ما العرب يتقدموا الانكليز ازيدوا قواتهم .

أنا قبل اسرائيل بقيت عايشة بيافا مع حياة جوزي فياض الحاج ابراهيم . شردنا من يافا بعد إجرام الانكليز . وفي الطريق أخرى كل ما نمرق عن كُبّنيّة انطم حالنا تحت الشادر بقوا يزتوا علينا قنابل . في يافا ناس دبّوا حالهم في البحر من الخوف .

وتتابع الحاجة ثريا علي محاميد :

سنة ٤٨ لما جينا نشرد من يافا شفنا العجايب، ناس من يافا من الاجرام . شردوا ودبّوا حالهم بالبحر . من دار الشوبكي بيافا يا حرام . شنقوا ٩ يعني كل العيلة قتلوهم بالبيارة وعلّقوهم . والإنكليز كل مركز واللا نقطة يطلعوا منها يعطوها لليهود . حوونا من يافا والانكليز يفزعوا معاهم ... فقيرين العرب ...

لّمونا اليهود بيافا، ركّعوا الشباب عّ الحيطان وطخوهم حالهم هتّه (خالصين)، دم اولادهن عليهن، في مرا يا حرام صارت اتحط دم ابنها عَ وجهها .

جينا ع ام الفحم، والناس حزينين صاروا يهجوا من الخوف وحتى يدشروا أولادهم ...

اوصلنا، لقينا أهل خبيزة، أم الشوف، الكفرين وغيرهم شاردين عَ أم الفحم، إشي قاعد تحت الزتون، وإشي بالجامع وإشي مرمي بالحارات، واحدة فصحة من النسوان بسألها : ليش ما اترجيتوهم بلكي خلّوكم ؟!

قالت: أنا بقيت أقلهم احنا الشعب مالنا، بدكم روحوا قاتلوا الثوار . والله صبي عمرو ١٠ ـ ١٢ سنة قتلوه ووحدة سقطت ابنها بالطريق بعد ثلاث أيام تالقيو .

انا والله يا خالتي أول مرة بسمع كلمة "شعب" . اليوم صرنا نفهم اشو معنى كلمة شعب، قبل والله لع .

الناس ماتت من الجوع، احنا صرنا ننقل بالغلة عَ الحمير وعَ روسنا . اليهود قتلوا ١٠ ـ ١٢ واحد، وهمي يقولوا سلام . انا شوف عيني، شفتهم طخّوا واحد محمّل بضاعة بالسحاحير، واللي بقوا يروحوا عَ أرضهم في المرج واللجون بقينا نسميهم راحوا "يدمروا" بقوا يطخوهم .

مش مهم والله يموت الواحد ولا يجوع، والناس رايحة اتجيب من قمحها وغلتها، والله "بواد ملحم" بأم الفحم القتلى يا حرام جثثهم فطّست .

والمثل بقول دولتن ضلت ما ظلّت، إحنا بدنا السلام ويا ناس اللي ما بحافظ عَ الوطن وعَ الأرض ما بحافظ على دينو وصلاتو" .

ويحكي السيد توفيق محمد خضر محاميد "ابو جمال" (١٩١٩) :

"أنا بقيت حرس مع الدورية طبعاً بقوا عنا العراقية واحنا بقينا نحرس مع أهل البلد عَ أطراف معاوية وبينا وبين اليهود منطقة حرام .

صعب جداً اتحدث عن شعوري، أنا بَلِجْ العادي .

بليلة من الليالي، اتحط اصابعك قدام عينك بتحقوش، برد شديد والريح بزمّر، سلّمت الوردية الساعة طناش بالليل، وروّحت أتريّح في الدار .

ما إلحقت أشلح مواعيني، واللا بدقوا عَ الشباك .

توفيق ... توفيق ... تعال عند الشاويش ! حسين العراقي، المقر طبعاً بعرعرة .

طوّالي رحت عَ المقر، القيت هناك أربع شباب من الشمال من الجليل، باقي الحرس جايبهم من الروحة . زابط المقر حقّق معهم، وعرف إنو في لاجئين في الروحة شاردين، قلّي يا الله يا توفيق روحوا جيبوهم .

قمت أخذت واحد من الأربعة معي وحياة ابراهيم الصالح جبارين . الدنيا بقت مربعنية، برد شديد .

الله اكبر وين العرب، استغفر الله، بصل الواحد انو يكفر من هالمنظر .
والنبع طايح والأرض وحل، والوديان بتهدر ...
جينا عليهم جنب "عرقدة السدر" معهم أطفال مش باللطافة تحت المطر، أخذو
واحد منهم ميشان إدلنا عَ الجماعة الثانية المتأخرة في الروحة .
امشي امشي في العتمة والمطر والبرد .

والله وبقلب خلّة صالح الخليل في الروحة جينا عَ الجماعة الثانية، إشو بدي أخرز
فش كلام بغدر يوصّف المنظر .
برضو أخذت واحد من الجماعة الثانية ميشان إدلنا عَ الجماعة الثالثة .
جينا عليهم عَ الواد ، واشو الواد المي طايحة ومرار لا يطاق .
لا عارفين اناموا، ولا يقعدوا، وحريم مع رجالها وإشي بدون رجالها .
هاي الجماعة بقت عند "عين الجرف" للجبارين كل جماعة بقيت أصل عندهم
أطلب منهم أنهم يحضروا حالهم .

يا حرام، كأنها السما بتنقظهم يتعلقوا فينا انا أرجعت مع الجماعة الثالثة واللا
همي من الجليل . أجو يركضوا خوف من قدام اليهود، واشي حامل شوية طحين،
ومعهم ولد مش قادر يمشي ، الجيش طلب من الشباب يرموا الطحين ويحملوا الولد
مسافة ١٥ متر ونزلوه . وشردوا خوف يرشوهم . وبعدين ضاع الولد وفلّوا من
"ظهرة ابو زويتينة" قرب جرف الجبارين منو وشمال .
بالرجعة الحقنا طبعاً الفرقة الأولى والثانية في ظهرة الربيظة .
ابراهيم الصالح مشى قدام الفرق، ميشان يقطّعهم الواد .

اشي بجنن يا ناس، الشرقية صارت تقتل قتل اللي حاطط ولد في بطنية، او ثلاثة
في عباي . ومرتو حاملي عَ راسها مواعين .
من الجملة في مرا حاملة عَ ايدها ولد برضع عمرو شهر، حملتها الغراظ، ما مشت
خمسين متر واللا هي موقعتهن .
انجنت أخذت تكفر وتسب الدين، أخذت الولد منها وحمّلتها من جديد .

اكثر من ١٧٠ انسان ماشيين مثل القطار وهاظ أكبر من عدد سكان معاوية .
واحنا نقطع في الواد، واحد واحد، فجأة طلعت رصاصة، اعرفنا انها من الحراس
بحد البير، اعطيت اشارة ميشان يفهموا علينا . حتى قطعنا الربيظة، وملان مي واللي
بزحلق يمكن المي توخذو واحنا نمرّق الجماعة الثالثة، والا ولد صغير عمرو تقريباً
ثلاث سنين بصيح: يا حبيبي يا عمي ، واتعلّق بيِّ .

حملتو بحضني حوالي خمسين متر، والولد أصيح ميشان الله ما تدشروني يا عمي .
احمقت وكفرت بالعرب كلها من هاي الشوفة خمسين حرمة واقعات مع الحمل في
المي .

اوصلنا دارنا في أول البلد بالناحية الشمالية حطيت الولد، وصرت أركض ميشان أجمع الفرق والولد صار إدب الصوت يا حبيبي يا عمي تتركنيش" .

تجمعت الفرق عَ البيادر قدام دار الحاج فياض السكران وبقت وسيعة، سألت عن أهل الولد وأخذوا ابنهم .

أجا الشاويش العراقي وبقى يوخذ برأيي، لأني بقيت مجنّد مع الجندية الانكليزية، واعرف في الأمور . نخيت شباب البلد، ميشان نجمع أكل من كل الدور صاروا يجيبوا كل إشي من الدور خبز، جبن، زيت وانو كل دار تحضّر فطور امبكرا .

أكلوا وشبعوا، والبلد كلها ودت أكل واللا الدنيا تقريباً الصبح .

وبعدين اتبيّن إنّو فيه فرقة رابعة ما حدا بلّغ عنها من ٣٠ ـ ٣٥ نفر متأخرين وصلوا مع طلوع الشمس .

قالوا: يا جماعة النا ولد ظل في الكبانية .

طلبنا من أبو الولد يحمل راية بيضا ويروح يسأل عنو .

قالولوا انه الولد في مجيدو، وفعلاً راح عَ مجيدو واستلم الولد وفعلاً جماعتوا كانوا ضيعوه .

وفي الكبانية أخذوه واطعموه وبعثوه عَ مجيدو . وبقى يصير مبادلات بين العراقية والفلسطينية واليهود .

لما طلعوا من البلد . الفرق بقت صف راحلين طويل أولو قازي عن البلد ومعاهم جنود عراقية رايحين باتجاه عارة وعرعرة .